الفصل السابع

٣- المقدسات الدينية فى بيت المقدس

* هل لليهود مقدسات أو آثار فى بيت المقدس!!؟
* أكذوبة حائط المبكى

هل لليهود آثار فى القدس؟(١)

لو كان فى مدينة القدس، وقت الفتح الإسلامى، معابد أو هياكل أو آثار يهودية، لما كان هناك ما يدعو جنرالات إسرائيل، أمثال «موشى ديان» و«يادين» و«وايزمان» و«هرتزوج» إلى أن يتحولوا إلى علماء آثار، وهواة حفريات.. ينقبون تحت الأرض، فى القدس وما حولها، يفتشون عن معابد يهودية قديمة، أو هياكل يهودية بائدة.. دون أن نسمع حتى الآن أنهم وجدوا شيئاً!

لو كان فى القدس، عندما دخلها المسلمون فى السنة الخامسة عشرة من الهجرة، معبد أو هيكل يهودى، لأمر أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» بالإبقاء عليه، بل لأمر بصيانته ورعايته.. ولأمر بالمحافظة على نقوشه ومحتوياته، مثلماً أمر بالمحافظة عل كنائس المسيحيين ومزاراتهم، وما فيها من صور وصلبان وتماثيل.

فلم يكن هناك سبب دينى - والدين هو الذى كان يحدد خطى المسلمين وأعمالهم فى ذلك الزمان - يدعو إلى أن يفرق المسلمون بين كنائس المسيحيين ومعابد اليهود.. فهؤلاء وأولئك من أهل الكتاب، وسوى بينهم الإسلام فى الحقوق والواجبات.. فإكراههم على الدخول فى الإسلام محظور، وحقهم فى ان يعيشوا فى المجتمع

(١) القدس - عبدالحميد الكاتب.

الإسلامى سالمين آمنين مكفول.. هذا حق لليهود وللمسيحيين على السواء، تقابله واجبات، أو واجبان على وجه التحديد.. هما واجب «الجزية».. وواجب الامتناع على إحداث فتنة عامة فى المجتمع الإسلامى، لكى يعيشوا هم والمسلمون جنبا إلى جانب متفاهمين ومتعاونين..

* * *

وقد بقيت مدينة القدس من قبل الفتح الإسلامى، وحتى يومنا هذا، حافلة بالكنائس والمزارات والمقدسات المسيحية.. رعاها المسلمون أكمل وأفضل رعاية، عند الفتح الإسلامى زادوا عليها، فوسعوا فى أرضها وأعلوا مبانيها، وأنفقوا فى سبيل هذا مالا كثيراً من خزانة الدولة الإسلامية.

وعندما مر بالمسلمين، بعد هذا، عصر من الضعف والتخلف، وما يولده هذا وذلك من التعصب الدينى.. وخاصة فى العصر الذى انتقل فيه الحكم الإسلامى من الأيدى العربية إلى أيدى عناصر انحدرت من المغول والشركس والأتراك، وكانت حديثة عهد بالإسلام.. عندما مر بهم ذلك العصر، فإن حكامهم لم يحسنوا معاملة رعاياهم من المسيحيين فى القدس أو فلسطين أو بعض البلاد الإسلامية الأخرى، منحرفين بهذا عن مبادئ الإسلام التى تدعو إلى السماحة والتسامح، إلا أن التاريخ يشهد أيضا بأن

أيدى المسلمين لم تمتد إلى هدم الكنائس أو العبث بما فيها من صلبان ومقدسات.

* * *

ونعود إلى قصة «عمر بن الخطاب»، عندما دعاه الأسقف «صفرنيوس» إلى جولة فى مدينة القدس، ليشاهد معالمها وآثارها.. نعرف هذه القصة جيداً.. ولكن لا بأس من تكرارها فى هذا المقام، لنرى أن ما فعله «عمر» رضى الله عنه تجاه الكنائس المسيحية، كان لابد فاعلا مثله تجاه المعابد اليهودية، لو أنه كانت فى القدس يومذاك معابد أو مقدسات يهودية.

القصة التى نشير إليها، هى صفحة فى صفحات التاريخ الذى سجله المؤرخون المسلمون، وكذلك المؤرخون المسيحيون واليهود.. تقول لنا، إنه بينما كان «عمر بن الخطاب» والأسقف «صفرنيوس» يتجولان فى مدينة القدس، دخلا كنيسة القيامة، وهى الكنيسة المقدسة عند المسيحيين، إيمانا منهم بأن جثمان المسيح عليه السلام دفن فيها، ثم رفعه الله إلى السماء.. وأدرك «عمر» ومن معه من المسلمين موعد الصلاة، فطلب إليه أسقف المسيحيين أن يصلى فى الكنيسة.. فاعتذر «عمر».. اعتذر للأسقف بأن لو صلى فى الكنيسة، فقد يجىء المسلمون من بعده، ويقولون إن «عمر بن الخطاب» صلى هنا، فيتخذونها مسجدا، ويخرجون النصارى من كنيستهم، مخالفين بهذا عهد الأمان الذى أعطاه

خليفة المسلمين للمسيحيين من أهل القدس.

خرج «عمر» من الكنيسة، وصلى فى مكان قريب.. وفى هذا المكان أقام عمر مسجداً بسيط البناء، مثل مسجد الرسول فى المدينة يوم أقيم.

* * *

قال بعض المستشرقين فيما بعد - أى بعد أن انقضى عصر التسامح الدينى، وجاءت عصور التعصب الدينى المغرض الذى أخذ صورة الحرب الصليبية مرة، وصورة الاستعمار مرة، وصورة الاستشراق المغرض ثالثة - جاءت تلك العصور، فقال بعض المستشرقين إن «عمر بن الخطاب» لم يصل فى الكنيسة ابتعاداً عما فيها من صلبان وصور وتماثيل، وإنه اعتذر بما اعتذر به لكيلا يجرح شعور الشيخ الطيب أسقف المسيحيين.

كلام المستشرقين هذا لغو من القول، ولا وزن له ولا أساس.. فإن رسول الله ﷺ، كان يصلى فى الكعبة قبل الهجرة وبها ما بها من الأصنام والأوثان.. وكذلك المسلمون القلائل، الذين تشجعوا بعد أن أسلم وانضم إليهم «عمر بن الخطاب».. أخذوا يصلون جهارا فى الكعبة، ومن حولهم الأصنام والأوثان.. وبعد الهجرة بسبع سنوات، جاء الرسول من المدينة ومعه ألفان من المسلمين، فطاف وطافوا بالكعبة، التى تحيط بها وتتدلى عليها الأصنام من كل جانب.. إماما لألفين من المسلمين صلاة المؤمنين الموحدين..

وهل تحول الصور والتماثيل، وما شذت مما يصنع الإنسان، بين قلب المؤمن الخاشع وبين الله الواحد الأحد؟

و«عمر بن الخطاب» نفسه صلى فى إحدى كنائس القدس.. صلى فى كنيسة المهد فى بيت لحم.. وفيها ما فى غيرها من الكنائس فى صور وتماثيل وصلبان.. ورأى «عمر» أن يحفظ الكنيسة لأهلها المسيحيين، فكتب عهداً خاصا بكنيسة المهد، قضى فيه بألا يدخلها من المسلمين أكثر من شخص واحد فى المرة الواحدة.. وحتى الساحة التى أمامها لا يسمح بالصلاة فيها لأكثر من مسلم واحد فى المرة الواحدة.

وقد ظلت هذه الكنائس المسيحية قائمة فى مدينة القدس، منذ الفتح الإسلام وحتى يومنا هذا، لم يصبها بسوء من قريب أو بعيد حكم إسلامى استمر أربعة عشر قرنا، أو على الأصح ثلاثة عشر قونا، فقد قامت فى القدس «مملكة مسيحية صليبية» زهاء قرن من الزمن، «من سنة ١٠٩٩ إلى سنة ١١٨٧ ميلادية».. وعندما استردها المسلمون ودخلها صلاح الدين، دخلها دون أن تراق قطرة دم واحدة.. تماما مثلما دخلهامن قبل عمر بن الخطاب.

* * *

قامت، فى القدس، مساجد المسلمين جنبا إلى جنب مع كنائس المسيحيين، فكان القدس الشريف نقطة التقاء بين العالم الإسلامى فى أوج الحضارة الإسلامية، والعالم الأوروبى فى أوج

سيطرة الكنيسة على ملوكه وأمرائه وشعوبه.. بل كان القدس الشريف هو أول حلقة اتصال بين المشرق والمغرب فى ذلك العصر.

قرأت فى كتاب عنوانه «القدس» لمؤلف فرنسى اسمه «ميشيل جوان لامبرت» ما يلى: إن حكام المسلمين فى بغداد، وافقوا على أن يسافر راهب من القدس اسمه «زكريا»، حاملا معه مفاتيح كنيسة القيامة، ليسلمها للإمبراطور «شارلمان». وقد سافر الراهب، وسلم مفاتيح الكنيسة على سبيل التهنئة من هارون الرشيد، خليفة المسلمين، إلى «شارلمان»، بمناسبة تتويجه إمبراطوراً على أوروبا.

ويقول المؤلف: منذ ذلك الوقت، بدأ «شارلمان» فى إنشاء مستوطنات مسيحية أوروبية فى «القدس».. وكان هذا العمل يثير خيال الشعراء فى أوروبا فينشدون القصائد.. وأضافوا من عندهم قصة غير صحيحة وهى أن «شارلمان» نفسه ذهب إلى القدس..

ذلك كان موقف المسلمين من الكنائس، والمقدسات المسيحية، منذ دخول القدس، وعلى مدى قرون عديدة وعصور طوال.. فبقيت قائمة مرعية حتى يومنا هذا.. فلماذا إذن لا توجد فى القدس معابد ولا هياكل ولا آثار يهودية؟.. ولماذا يتعب جنرالات إسرائيل أنفسهم، فيتحولوا إلى علماء آثار، وإلى هواة حفريات؟ فضلا عما تحشده «الجامعة العبرية» وجامعات أمريكية وأوروبية من علماء وغير علماء.. كلهم ينقبون تحت أرض القدس الشريف عن

معبد «داود»، أو عن هيكل سليمان، أو عن قبر «يوسف».. فما وجدوا شيئا حتى الآن!

ما من أحد من المؤرخين - بمن فيهم المؤرخ اليهودى الشهير «يوسفوس» - الذين كتبوا تاريخ القدس بالتفاصيل، قد ذكر أو ادعى أن المسلمين هدموا فى يوم من الأيام معبداً يهودياً، أو طمسوا أثراً يهودياً، أو استولوا على كنيس يهودى وجعلوه مسجداً لهم.. وهذا دليل ما بعده دليل، على أنه لم يكن فى القدس عندما دخلها المسلمون معابد أو هياكل يهودية، وأن القدس لم يكن مدينة يهودية عندما فتحها المسلمون.. وإنما كان مدينة أهلها عرب من نسل كنعان.. وكانوا يتكلمون اللغة العربية.. ويدينون بالديانة المسيحية.

وهنا نتساءل: ألم يدخل اليهود مدينة القدس؟ ألم يقيموا فيها مملكة لهم ردحا من الزمان؟

والإجابة التاريخية على هذا، هى أن بنى إسرائيل دخلوا القدس فعلا.. وأقاموا فيه مملكة لهم فعلا.. وكان هذا فى عهد «داود» وابنه «سليمان» عليهما السلام:

عاشت مملكة داود من سنة ١٠١٢ - ٩٧٢ ق.م وعاشت مملكة ابنه سليمان من ٩٧١ - ٩٣١ أنى ان قوة المملكة لا تصل إلى ثمانين عاماً؟

المرحلة العربية الأولى، التى جاءت فيها قبائل كنعان العربية،

واستوطنت فى فلسطين وزرعت أرضها وبنت فيها القرى.. وهى مرحلة طويلة استمرت زهاء ألفين من السنين.. تعاقب على غزو فلسطين، وحكمها، والإقامة فيها، أمم عديدة .. هى أمم الأشوريين والبابليين والفرس والمصريين واليونان والرومان.. وقد أقام كل من هؤلاء مرحلة تاريخية، أطول من السنوات السبعين التى عاشها بنو إسرائيل فى القدس.. دون أن يدعى أحد منهم ما تدعيه إسرائيل، فى زماننا هذا، من أن لها حقها التاريخى فى القدس وفى فلسطين جميعا!

بدأت تلك السنوات، عندما دخل النبى «داود» القدس فى سنة ١٠٥٠ قبل الميلاد، أو حول هذا التاريخ.. ولم يبن «داود» معبداً ولا هيكلاً فى القدس.. فقد جاء فى العهد القديم، فى سفر الأيام الأول، ما يلى: «قال داود لسليمان: يا بنى قد كان فى قلبى أن أبنى بيتا لاسم الرب إلهى.. فكان إلى كلام الرب قائلاً: قد سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامى.. هو ذا يولد لك ابن اسمه يكون سليمان.. هو يبنى بيتا لا سمى..» وظل «داود» يؤدى صلواته فى خيمة من الشعر.

وبنى «سليمان بن داود» عليهما السلام المعبد.. وكان معبداً صغيراً، ملحقا بالقصر الملكى، وبابه مفتوح من جهة القصر، لأنه خاص بالملك وحاشيته وزوجاته، أو بعض زوجاته، لأن بعضهن الآخر لم يكن على دين «سليمان» وكن يتعبدون عبادتهن

الخاصة.. ومنهن زوجته المصرية ابنة فرعون مصر التى كانت على دين آبائها.

* * *

هذا المعبد يسمونه الهيكل الأول.. ول يدم هذا المعبد طويلا، لأن أولا «داود» و«سليمان» قد نشبت بينهم المنازعات والمناوشات، فلم يستمروا فى حكم القدس وفلسطين طويلا.. إذ أغار عليها المصريون من جانب، والأشوريون من جانب، وصارت المنطقة كلها منطقة معارك وحروب.. خربت مدنها وشتت سكانها.. ثم ظهرت قوة كبيرة فى الشرق هم البابليون.. فاقتحموا المدينة سنة ٥٨٧ق.م.. ودخلها «نبوخذ نصر» ملك بابل، فأحرق الهيكل، وقوض أركانه وجدرانه، وسبى جميع الرجال والشبان، من كان منهم قادراً على حمل السلام، أو كان ماهراً فى صنعته أوحرفته.. ونقلهم جميعاً إلى بلاده..

وبقيت «أورشليم» مدينة مخربة، تحت حكم البابليين، فترة من الزمن.. ثم ظهرت قوة القدس وملكهم «قورش».. فأغار على «أورشليم»، وانضم إليه أشتات اليهود، انتقاما من البابليين.. فسمح لهم بالعودة إلى «أورشليم»، وبنى لهم فيها معبداً، وهذا ما يسمونه: الهيكل الثانى.

وكما أحرق ودمر الهيكل الأول، أحرق ودمر الهيكل الثانى.. وذلك عندما جاء الإغريق، وحكموا «أورشليم».

جاء «الإسكندر المقدونى» أولا، وكان شابا مستنيراً تتلمذ على «أرسطو» وفلاسفة اليونان.. وكان يحلم بأن ينشر حضارة اليونان فى بلاد الشرق.. ولهذا استقبل فى البلاد التى فتحها بشىء من الترحيب.. حدث هذا عندما جاء إلى مصر، وحدث مثله عندما وصل جيشه إلى «أورشليم».. فوجد أحبار اليهود فى انتظاره مرحبين.. وأسرفوا فى الترحيب، فأعلنوا أن كل مولود يهودى فى تلك السنة يسمى «إسكندر».

وقد لاحظت، عندما أقمت فى مدينة «نيويورك» عدة سنين انتشار اسم «الإسكندر» بين اليهود هناك.. ولم أكن أعرف حينذاك، لماذا يتسمى اليهود باسم يوحى بأن صاحبه مسيحى.. ثم قرأت فيما بعد، بأن هذا يرجع إلى أيام «الإسكندر المقدونى» ودخوله «أورشليم»، ومجاملة اليهود له وإطلاق اسمه على أولادهم.(١)

ولم يدم الود بين اليونان واليهود طويلا.. فجاء أحد خلفاء الإسكندر وأذل اليهود.. هدم الهيكل.. وأقام مكانة تمثالا لرئيس آلهة اليونان، وأمر بأن تذبح فى هذا المعبد الخنازير.. وحظر على اليهود الاختتان.. وأجبرهم على العمل يوم السبت.. وكانت عقوبة من يخالف هذا هى الإعدام.

(١) القدس. عبد الحميد الكاتب.

وظل الأمر هكذا، حتى دخل الرومان مدينة القدس.. وكان هذا سنة ٦٣ قبل الميلاد.. ورحب اليهود بالرومان، مثلما رحبوا من قبل باليونان.. فأقام الحاكم الرومانى «هيرودس» معبداً كبيراً يسمونه الهيكل الثالث.

لم يكن ذلك الهيكل الثالث معبداً يهودياً، وإن كان يسمح لليهود بدخول بعض أرجائه.. بل كان معبداً رومانياً، بنى على الطراز الرومانى، وعلى مساحة تبلغ عشرين فداناً.. وكانت الألعاب الأولمبية ومسابقات الأولمبيات تقام به! وكانت الحفلات الساهرة تقام به تكريما لضيوف المدينة من الكبراء.

ثم ساءت العلاقات بين اليهود والرومان.. فأمر الإمبراطور الرومانى «نيرون»، بأن تحرق «أورشليم» كما أحرقت روما نفسها.. وتم هذا على يد أحد القواد الرومان، الذى أشعل النار فى المدينة، فظلت مشتعلة شهراً كاملا.. وأمر بهدم الهيكل الثالث، فلم يبق منه إلا حائط.. ذلك هو حائط المبكى.. وذبح جنوده كل من وجدوه فى المدينة من اليهود.. وكان هذا فى سنة ٧٠ بعد الميلاد.

وقرر الحاكم الرومانى إلغاء اسم «أورشليم».. وأطلق على المدينة اسما جديداً، فسماها «إيليا كابيتولينا».. وظلت تعرف بهذا الاسم، حتى دخلها المسلمون سنة ٦٣٦ ميلادية.. لهذا نجد أن

العهد العمرى نص على أنه عهد أمان لأهل إيلياء.

هذه إلمامة سريعة جدا بتاريخ مدينة القدس، أو بعلاقة اليهود بالقدس، ومنها نتبين أن آخر معبد يهودى.. أو آخر معبد يسمح لليهود بدخوله، وممارسة طقوسهم فى بعض أرجائه.. هو ذلك الهيكل الثالث، الذى أحرقه الرومان وهدموه ونهب جنودهم ما فيه.. فى سنة ٧٠ ميلادية، أى قبل دخول المسلمين بأكثر من خمسة قرون ونصف قرن!..

* * *

فلما دخل المسلمون مدينة القدس.. ولما تجول «عمر بن الخطاب» مع أسقف المدينة صفرنيوس»، ليرى معالم المدينة.. لم يكن هناك معبد ولا هيكل يهودى واحد.. فقد اندثر هذا كله منذ قرون وقرون.. ولم يسأل «عمر بن الخطاب» عن شىء من آثارهم البائدة، وإنما سأل عن «الصخرة.. صخرة يعقوب».. لأنه لم يكن من الممكن إحراق الصخرة أو هدمها.. وإنما اكتفى الرومان، واكتفى أهل القدس من المسيحيين، بأن طمروها تحت أكوام من القمامة..

هذا الأثر اليهودى الوحيد، الذى لم تمتد إليه أيدى من حكموا القدس بالإحراق والتدمير.

حتى حائط المبكى
الأثر الوحيد لليهود
فى القدس هو أثر مزعوم؟!!

أنما عرف بين العرب والمسلمين بحائط البراق وهو المكان الذى توقف رسول الله ﷺ عند رحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى(١).

ربما كان حائط المبكى - الذى هو حائط البراق هو الأثر الوحيد لليهود فى المدينة المقدسة، والذى يقف اليهودى أمامه باكيا ومتوسلا إلى الله سبحانه «أن يمنحه الرضا والغنى وأشياء كثيرة، وكثيرا ما يرى جماعات من اليهود يجتمعون ويقرؤون فى كتب «مقدسة» هى الأخرى مزيفة ومن صنع أيديهم، واليهودى يدافع عن هذا الحائط بكل قوة وهو مستعد لدفع حياته ثمنا للحفاظ على هذا الأثر الغالى على كل يهودى!!

حتى هذا الأثر الوهمى والوحيد هو أيضا أكذوبة من أكاذيب اليهود!!

فحائط المبكى الذى يدعون أن بانية هو نبى الله سليمان قبل الميلاد بألف عام..

(١) سبق الأشارة إلى حائط المبكى وأبوابه فى الفصل الأول.

هذا الحائط ما هو إلا حائط سليمان باشا العثمانى الذى حكم القدس فى الفترة من عام ١٥٢٠ إلى عام ١٥٦٦ ميلادية والذى صمم هذاالحائط هو معمارى البلاط العثمانى سنان باشا الاسنبطولى أى أنه بنى منذ أقل من خمسة قرون مضت وهو بذلك حائط عربى إسلامى .

حتى الحائط القديم الذى تهدم والذى بنى قبل الميلاد بقرون فلم يبنه داود ولا سليمان عليهما السلام وانما بناه الرومان!!».